

تعليم اللغة العربية أيام الاحتلال

الأسناد: علي قابليت

قسم الترجمة، جامعة الجزائر

تمهيد:

كان التعليم وما يزال، الأساس الحقيقي لكل ثقافة، ولأي تقدم في المجتمع الإنساني. وقد تحدثت المصادر عن انتشار التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني انتشارا طيبا حتى غطى المدينة والقرية والجبل والصحراء. وكان المورد الأساسي للتعليم هو الأوقاف ومؤسساته من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا. لكن هل نستطيع القول أن الدولة الجزائرية في العهد العثماني، اهتمت بالتعليم حقا؟. الجواب هو لا. ذلك أنه لم يكن آنذاك منصب خاص بشؤون التعليم. لقد كانت هموم الدولة آنذاك منحصرة في المحافظة على الاستقرار السياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب لبيت المال، ولم تكن هذه المداخل وغيرها تستعمل في نشر التعليم وترقيته وتنمية الثقافة، ولكن في أجور الجنود كثيري القلاقل والثورات وفي المعدات البحرية، وفي توزيع الهدايا والعطايا على السلطان العثماني وموظفي دولته من جهة ومحظوظي الأوجاق في الجزائر من جهة أخرى.

إذن، لم يكن للسلطة العثمانية في الجزائر سياسة للتعليم، بل كان التعليم خاصا يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية. ولم تكن مهنة التعليم من المهن المرغوب فيها أو المربحة خلال العهد العثماني. فقد كانت مهنة لا تجلب إلى صاحبها إلا الفقر، وهي حالة لم تتغير حتى في عصرنا هذا (2000). ذلك أن كثيرا من حاملي الشهادات العليا قد اتخذوا من التجارة حرفة لهم بدل التعليم.

1- وضع التعليم قبل سنة 1830 :

كان تنظيمه في ذلك العهد على النحو التالي :

لقد كان التعليم في المستوى الابتدائي يشمل القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وكانت الدروس تقدم في مدارس صغيرة أو مسايد لا تتوفر فيها المتطلبات الصحية في غالب الأحيان لتلامذة من أعمار مختلفة. وكانت بعض هذه المدارس ولاسيما في الزوايا تلقن قواعد اللغة (النحو) وتفسير القرآن أيضا، وكان التعليم في المستوى الثانوي مخصصا لطلبة ينتمون في الغالب إلى أسر معروفة بالثقافة أو احترام الدين، وكان برنامج هذا التعليم يتضمن الشريعة والفقه وأصول الدين والحديث ونادرا ما يتضمن مبادئ في الحساب والفلك والجغرافيا والتاريخ، وكانت الدروس تلقى عموما في المسجد أو في مدارس أشهرها مدارس مازونة (دائرة عين كرمان) وسيدي بومدين في تلمسان، وسيدي الكتاني في قسنطينة.

كان التعليم مجانا، ومؤسساته تابعة للقطاع الخاص، ولم تكن الدولة تساهم في إدارتها قط. وكانت نفقات هذه المؤسسات تتأتى من عائدات الأوقاف والهبات أو التبرعات، وكان تلامذة الزوايا داخليين بينما كان تلامذة المساجد والمدارس خارجيين. ومن هؤلاء من كان يأوي لدى أعيان البلد، ومنهم من كانت تأويهم الفنادق.

وكانت هذه الدراسة تتوج بشهادات. وكان بعض التلامذة يستكملون معارفهم في الجامعات الإسلامية، جامعة الأزهر في القاهرة، والزيتونة في تونس، والقرويين في فاس. كان التعليم موضوعا تحت الرعاية الدينية، وقد أشاد القرآن الكريم في كثير من صورته بالعلماء وكرمهم ومجدهم، وشجع التعلم لنشر المعرفة بالحقائق الدينية.

وهكذا فإن تعلم القراءة بالنسبة إلى المسلمين جميعا إنما يعني تعلم قراءة القرآن وفك رموزه. وتعلم الكتابة يعني محاكاة حروف الكتاب المنزل. فالقرآن هو أساس التعليم الابتدائي. كما أنه يغدو في وقت لاحق النص المعتمد في الدراسة أثناء مرحلة التعليم الثانوي، وموضوع الدراسات العليا وغايتها. وكان المسجد هو المكان الملائم لاجتماع المسلمين، وكان مسجد الرسول (ص) أول مكان اتخذ لنشر العلم وتعليم المسلمين أصول الكتابة والقراءة. وكان التعليم في مرحلة النبوة، يقوم على أساس تعلم القرآن وحفظ آياته وفهم معانيه.

ويعتبر المسجد المعهد الأول لنشر العلم ومكان التعليم في العالم الإسلامي، وأصبحت المساجد في عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين مراكز تهذيبية وتعليمية. ولم يبق المسجد مقتصرًا على الوعظ والإرشاد وتعليم المواضيع الدينية البحتة، بل أخذت المواضيع العلمية التي تعرف المسلمون عليها نتيجة الفتوحات طريقها إلى المسجد وصارت تدرس إلى جانب العلوم الدينية.

وفي المساجد الإسلامية تعلم ونبغ الكثير من اللغويين والمفكرين والفقهاء والمحدثين والمؤرخين. ومن المساجد التي اشتهرت بحلقاتها العلمية وأدت رسالتها التعليمية على أحسن وجه: المسجد النبوي الشريف والحرم المكي ومسجد البصرة ومسجد الكوفة، ومسجد القسطنطينية، ومسجد القيروان والمسجد الأموي بدمشق. والمسجد الأقصى ومسجد الزيتونة وجامع المنصور ببغداد وجامع قرطبة وجامع ابن طولون والأزهر بالقاهرة. وفي أواخر الرابع الهجري بدأت المدارس الإسلامية في الظهور وبخاصة في منطقة نيسابور، ثم انتشرت المدارس في العراق وسورية ومصر وسائر بلاد الإسلام. وكانت أول مدرسة، هي المدرسة النظامية في بغداد سنة 459

هـ. والتي يسميها المؤرخون بأم المدارس قام بتأسيسها وانشائها الوزير السلجوقي نظام الملك. ثم أمر بإنشاء عدد من المدارس تحمل إسم النظامية في بغداد والموصل والبصرة وهرارة ونيسابور، ولعل أشهر المدارس التي جاءت فيما بعد المدرسة المستنصرية ببغداد التي أسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة 630 هـ. وهناك قاعدة عامة في جميع البلدان الإسلامية تكاد تكون قاعدة مطلقة وهي وجود مدرسة للتعليم إلى جوار كل مسجد. غير أنه لم يكن ثمة أية ميزانية أو إعانة مالية خاصة ترصدها الدولة لإقامة الشعائر الدينية أو للتعليم العام في ذلك العهد الذي نتحدث عنه.

فقد كانت المصليات والمساجد يقوم بتأسيسها رجال أتقياء أو موظفون سامون يحبسون أملاكاً لكي تخصص مداخلها وعائداتها لصيانة المباني ولدفع أجور رجال الدين. وأن المرء ليجد دائماً من توابع المسجد محلاً يخصص للتعليم وكان القائمون على إدارة عائدات المساجد هم المكلفين بصيانة هذا المحل وفرشه أو تأثيثه. ويعمد السكان في حالة عدم وجود مسجد في الجوار إلى الاكتتاب والتبرع لتأجير قاعة تتخذ مدرسة، وشراء ما يلزمها من الإمدادات التي كانت بسيطة للغاية.

وكانت الأوقاف في الجزائر، المصدر الوحيد لرعاية الخدمات الثقافية والدينية بأغلب البوادي والحوضر الجزائرية التي كانت تزخر بالمساجد والمدارس، فمدينة الجزائر، مثلاً، كانت تحوي (106) مسجد، أهمها الجامع الأعظم، الذي يقوم بخدمته 14 مدرسا و 18 مؤذنا و 8 حرابين و 13 قيما... أما مدينة قسنطينة فكان عدد أماكن العبادة والتعليم فيها ينيف عن (100)، منها 35 مسجداً و(169) زاوية و(7) مدارس رئيسية فيها (600) تلميذ منهم (150) من الأرياف

وكلهم يتقاضون منحة سنوية من وكيل الأوقاف تقدر ب 36 ف. للطالب مع إعانة نصف سنوية تتألف من كمية من الزيت والشموع والبخور والسجاجيد. والجدير بالذكر أن فائض مردود الأوقاف كان كثيرا ما يشتغل في إنشاء أماكن جديدة للعبادة والتعليم.. وهذا ما ساعد على انتشار التعليم والمعرفة في أوساط السكان حتى أن أحد الكتاب الفرنسيين وهو Raynand الذي تعرف على الجزائر إثر فترة الاحتلال، كتب ما يلي: كان يوجد بمدينة الجزائر عدد كبير من المدارس التي تتميز بانتهاج طرق تعليمية تشابه كثيرا نظم التعليم بفرنسا.. ولا أظن أنني مبالغ حين أؤكد أن التعليم الابتدائي كان أكثر انتشارا في الجزائر منه في فرنسا.

وهذه شهادة اعتراف أخرى، حول التعليم دائما، في تقرير برلماني فرنسي يرثي فيه الكاتب الفرنسي المشهور Alexis de Tocqueville وضعية التعليم بعد الاحتلال، أقدمها من الفرنسية إلى الإنجليزية: "Everywhere we have put our hands on these revenues...we have ruined charitable institutions ;dropped the schools , and dispersed the Seminaries. Around us lights have been extinguished, and the recruitment of men of religion and men of law was ceased. In other words we have rendered Muslim Society much more miserable, disorganized, ignorant, and barbaric than it was before knowing us. »

التعليم الابتدائي:

كانت المدرسة الابتدائية تدعى "المسيد" أو المكتب، والمعلم يدعى "المؤدب" وغالبا ما كان يجمع بين وظيفته هذه ووظيفة إمام أو مؤذن للصلاة. أو "طالب" يقرأ القرآن. وفي المسجد الذي يلحق به المكتب "المدرسة" يخصص راتب أو مكافآت عينية للطالب عن وظائفه الدينية ولكنه لا يتلقى شيئا عن وظيفته التعليمية. غير أن أولياء التلاميذ كانوا يكافئونه كل حسب ثروته. بما يتراوح بين 15 و60 فرنكا في السنة،

وكان المؤدب يتلقى، فضلا عن أجره الشهري أو السنوي، هدايا من أولياء التلاميذ خلال المواسم والأعياد تسمى "النفقة" وكذلك كلما انتقل التلميذ في تعلمه القرآن من حزب إلى حزب جديد. وكانت هذه الهدايا مقومة فيما سبق أن ذكرناه من أرقام.

وكان كل دوار في المداشر لا توجد زاوية من الزوايا أو مصلى من المصليات في جواره يتخذ له خيمة تدعى "السريعة" يتبرع بها شيخ الدوار أو كبير القوم أو يشترك في اقتنائها سكان الدوار البارزون، وتستعمل قاعة للتعلم. وكانت مكافأة المؤدب فيها شبيهة بالمكافأة المعمول بها في المدن، بيد أن المؤدب في البادية يتلقى مقابل عمله هدايا عينية وقليلًا من النقود.

أما بالنسبة إلى أكثر العائلات ثراء، فإن إمام المسجد أو المؤدب فيه كان يختار من بين المتقدمين سنا، ويسمح له بدخول البيوت والنفاز إلى الحرم لتلقي أبناءها وحتى بناتها في بعض الأحيان. ولم تكن ثمة قاعدة مقررة لمراقبة عمل المؤدب أو طريقة تسييره المدرسة، وإذا كان سلوكه محل شكاي أو شبهات خطيرة، فإن سكان الحي يشكون أمره إلى القاضي ويتسببون في تبديله. أما إذا كان السكان هم المؤسسين للمكتب بالذات، فإن استبدال المؤدب يتم حسب رغبة أغلبيتهم.

كان التعليم الابتدائي أكثر انتشارا في الجزائر، وهذا باعتراف الفرنسيين وذلك حسب علاقاتهم مع أهالي المقاطعات الثلاث (الجزائر ووهران وقسنطينة). وقد ثبت أن الذين يحسنون القراءة والكتابة كان مساويا على الأقل لما دلت عليه الإحصائيات العمالية "الولائية" بالنسبة إلى الأرياف الفرنسية.

وكان التعليم الابتدائي المكفول للجزائريين فيما بين 6 و10 سنوات يتمثل في تعليمهم قراءة القرآن وحفظه دون الاهتمام والعناية بشرحه وفهمه، ومن العادة أن

يختم التلاميذ القرآن ثلاث مرات أثناء ملازمتهم المكتب "المدرسة" كما أنهم يتعلمون الكتابة في الوقت ذاته. إذ كان المؤدب يملي لهم جميع سور القرآن تباعا فيكتبونها على ألواح مبيضة، ويقدم التلاميذ هدايا رمزية لمؤدبهم كلما تدرجوا في حفظ أجزاء من القرآن، وكان صغار الأطفال يتعلمون مبادئ الإسلام، وكيفية إقامة الصلاة، والطقوس الخارجية للعبادة، ثم التعاليم الدينية في الأخير.

كان جميع الأطفال يتوجهون إلى المدارس فيما بين السادسة والعاشرة من عمرهم دون تمييز طبقي، ولم يكن يتلقى أكثرهم فقرا سوى مبادئ التعليم الديني الضرورية لأنهم أحرص ما يكونون على تعلم مهنة من المهن تساعد على كسب الرزق أو احترام رعي المواشي، أما أطفال الأسر الموسرة فإنهم يستمرون في الاختلاف إلى المدرسة مدة أطول ويواصلون تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن كله.

التعليم الثانوي:

يكفل التعليم الثانوي في مدارس مخصصة للتعليم، والأستاذ يدعى المدرس "الواسع المعرفة والاطلاع" وتكاد المدرسة شأنها شأن المكتب في التعليم الابتدائي، تكون تابعة على الدوام لمسجد من المساجد في المدن، ولزاوية من الزوايا في المداشر والأرياف، وكان الإنفاق على هذه المدارس يتم مما تدره الأملاك المحبوسة أو الموقوفة لوجه الله. غير أن المدارس في هذا الطور من التعليم كانت تنشأ أحيانا مستقلة عن المساجد، وينفق عليها حينئذ بصورة مباشرة لكن وفق النهج المعتاد، على نحو ما رأيناه في مدارس أو مكاتب التعليم الابتدائي. كان التعليم في المدارس الثانوية مجانا، ولم يكن التلاميذ مطالبين بدفع أي شيء لأستاذهم. وكان التلاميذ الذين استوفوا دراسة متون النحو الستة مشهودا لهم بالطابعية، وأهلا لأن يصبحوا من قراء القرآن

في المساجد، ومن الكتبة، "خواجة" وموظفين عموميين، أو مؤدبين في المدارس الابتدائية.

كان مرتب المدرس يتراوح بين 30 و200 فرنك في السنة، وكان هذا المرتب يدفع له من عائدات أوقاف المسجد، ويتلقى المدرس، فضلا عن ذلك، أوقية من الزيت كل يوم للاستصباح به أثناء تحضيره دروس الغداة كما يتلقى الكمية اللازمة من الماء لوضوئه، والحصائر كفراش للمدرسة، وغالبا ما كان الزعيم السياسي في المدينة يقدم لجميع المدرسين ملابس من الجوخ بمناسبة عيد الأضحى، وكان أستاذ المدرسة الثانوية، يجمع، شأنه شأن مؤدبي المكاتب الابتدائية، بين وظيفته كمدرس وبعض وظائف رجال الدين في المسجد ويستكمل بذلك ما يجده من نقص وعدم كفاية في الأجر المخصص له.

الزاوية:

كان من العادة في الزوايا أن يتولى أحد أفراد عائلة شيخ الزاوية الذي شيدت الزاوية تخليدا لاسمه مهمة التدريس. وكانت هذه الأسر أشد ما تكون حرصا على عدم التخلي عن هذه المدارس المؤسسة إلى جوار ضريح أسلافها استبقاء لنفوذها في البلاد. كما كانت هذه المدارس موردا لثرائها، لأن رواد الزاوية أو أتباعها الروحيين كانوا في فترات معينة من السنة يقدمون الهدايا والأموال للزاوية قصد انفاقها على الطلبة الدارسين فيها.

وكان الزعيم السياسي في الإقليم غالبا ما يخصص عائدات بعض المداشر لهذه الزوايا، كما كان سكانها المعفون من كل ضريبة أخرى أتباعا وحرفاء لأرباب

الزواوية، ويحدث أحيانا أن يتحول هذا النوع من المعاهد الذي يفلت من كل رقابة ومن كل تعليم خاص للأخلاق وآداب السلوك، إلى أوكار للرذيلة وملاجئ للصوص.

الدراسات العليا:

كان العلماء يدرسون الفقه وأصول الدين والحديث، وأحيانا علم الفلك والحساب والجبر في أهم مساجد الحواضر الكبرى أو في أشهر الزوايا زيادة على الدروس العادية لتكوين الطلبة والمؤدبين. وكان الأساتذة في المدن يتلقون أجورهم من عائدات المساجد، وفي الزوايا من تبرعات وهبات أتقياء الناس، وإذا ما برز شخص في تحصيل العلوم التي تتكون منها الدراسات العليا أطلق عليه لقب عالم وصار أهلا لأن يتقلد منصب قاض أو مفت أو مدرس، كما يمكنه أن يتولى وظائف نائب أو عادل، أو وكيل مسجد... الخ. وتوجد في بعض هذه المعاهد العليا خلايا لإسكان الطلبة الدارسين فيها الذين كانوا يخضعون لنظام انضباط دقيق، ويتلقون فيها طعامهم وبعض الإعانات العينية. وغالبا ما كانت الأسر الغنية تلزم نفسها بالإنفاق على طالب أو عدد من الطلبة في المعاهد العليا كعمل صالح يتقربون به إلى الله. وكانت تسلم للطلبة في هذه المدارس على العموم شهادات ذات نوعين: بعضها يخول حق التعليم في الثانوي ويطلق على صاحب هذا النوع من الشهادة لقب "طالب" والبعض الآخر للدراسات العليا يندرج حاملها في مصاف العلماء، وكانت أشهر هذه المدارس موجودة في بايلك قسنطينة وفي المدينة ذاتها، مدرسة جامع سيدي الأخضر، وهناك مدرسة سيدي عقبة، ومدرسة سيدي بن علي الشريف في وادي الساحل... الخ. وفي بايلك الجزائر، مدرسة القليعة، ومدرسة مليانة، ومدرسة ابن محي الدين في بني

سليمان. وفي بايلك وهران، مدرسة سيدي العربي، ومدرسة أسرة الأمير عبد القادر ومدرسة تلمسان.

والخلاصة أن جميع الأطفال كانوا يتلقون التعليم الابتدائي في مؤسسات متعددة للغاية، ويتابع الدراسة الثانوية في كل بايلك نحو ألفين أو ثلاثة آلاف تلميذ. كما أن 600 أو 800 طالب على الأكثر كانوا يتابعون الدراسات العليا في كل ولاية، ويصلون إلى درجة التطلع في علوم الشريعة وأصول الدين.

تطور التعليم بعد سنة 1830:

توقف كثير من المدارس الابتدائية والثانوية عن العمل طوال فترة المقاومة للاحتلال الفرنسي للجزائر. وقد وجهت فرنسا همومها بادئ ذي بدء إلى تكوين الإطارات اللازمة لتعليم اللغة العربية في مرحلة التعليم الابتدائي فأنشأت لذلك ثلاث مدارس رسمية سنة 1850، لغرض استعماري بحث، في المدينة وقسنطينة، ثم حولت مدرسة المدينة إلى البليدة فمدينة الجزائر قبل أن ينتهي أمرها إلى ابن عكنون، ثم مدرسة تلمسان.

وكان الدور المنوط بهذه المدارس هو تكوين إطارات لتعليم اللغة العربية "المدرسين ولل قضاء الإسلامي القضاة والباش عدول، والعدول" كما يتمثل دورها بالتبعية في تكوين رجال الدين "الإفتاء والإمامة".

أنشئ سلك المدرسين سنة 1851، ولما كان هؤلاء المدرسون من بين أعوان رجال الدين فإنهم مكلفون بالتعليم العالي في مساجد الدرجة الأولى حيث يقدمون كذلك دروسا تحضيرية لمسابقة الدخول إلى المدارس وقد صار من الواجب على هؤلاء المدرسين الذين يعينهم الوالي العام ويقوم بتفتيشهم مديرو المدارس أن يكونوا ابتداء

من سنة 1895 حاملي شهادات الدراسات العليا من هذه المؤسسات. أما المواد التي كانوا يدرسونها في المساجد فهي اللغة العربية وآدابها "مادة إلزامية" وأصول الدين، والفقه، والقانون المدني "مادة اختيارية".

وابتداء من سنة 1898، صار تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية التي يؤمها الأهالي إجباريا. وتم تدريس اللغة الدارجة بواقع ساعتين ونصف الساعة في الأسبوع في الأقسام التحضيرية والابتدائية والمتوسطة، واللغة العربية الفصحى بواقع ساعة واحدة في اليوم في المدارس التي تحضر لمسابقة الدخول إلى المدارس أو الالتحاق بها. وكان المترشحون لامتحان التعليم يتلقون التكوين المناسب لذلك في مدرسة بوزريعة لتكوين المعلمين. غير أن وضع هذا الإجراء موضع التطبيق اصطدم دائما بعائق الافتقار إلى المعلمين. ولم يحدث أن طبق في ميدان الواقع على الإطلاق.

وفي سنة 1938، سمح للمدرسين بتعويض هؤلاء المعلمين في تدريس اللغة العربية، وفي سنة 1949، ساهم دمج التعليمين "أ" و"ب" التعليميين السابقين (الأوربي) و(الإسلامي) في توحيد برنامج التعليم في كافة المدارس الابتدائية. وكلف المدرسون مؤقتا بتقديم بعض الدروس الاختيارية في العربية الدارجة، في المراكز الحضرية الهامة. وأخيرا كلف المدرسون المزودون بقانون أساسي في سنة 1951، بتدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية وفي التكميليات، وكان هذا الإجراء نتيجة عادية لتطور في مجال هذا التعليم بدأ منذ سنة 1895.

التعليم الرسمي:

جاء في المادة 57 من المرسوم المؤرخ في 20 سبتمبر 1947 والمتضمن القانون

الأساسي التنظيمي للجزائر ما يلي:

”ولما كانت اللغة العربية من لغات الاتحاد الفرنسي فإن الأحكام والترتيبات نفسها تطبق على اللغة الفرنسية واللغة العربية فيما يتعلق بنظام الإعلام والمنشورات الرسمية أو الخاصة الصادرة في الجزائر.“

”وسينظم تعليم اللغة العربية في الجزائر على جميع الدرجات“
”وسيكون تطبيق هذا الحكم الأخير موضع قرارات يصدرها المجلس الجزائري تكون نافذة حسب الطريقة الإجرائية المؤسسة في المادتين 15 و16 من هذا القانون الأساسي.“

ولا ينتج عن هذه المادة كون اللغة العربية ”لغة رسمية“ في الجزائر كما أنه لم يتقرر فيه أن جميع تلامذة المؤسسات التابعة للتعليم الرسمي مجبرون على تعلم اللغة العربية. فالمبدأ المنصوص عليه حتى الآن إذن هو تنظيم تعليم هذه اللغة في جميع مستويات التعليم دون أن تكون مفروضة على أحد مع ذلك.
والتنظيم الذي تم تحقيقه هو التنظيم الآتي بيانه :

I – التعليم في المرحلة الابتدائية :

أ- الموظفون

يتولى تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والأقسام التكميلية مدرسون أو معلمو اللغة العربية على أن هذا الطراز الأخير من رجال التعليم يوظفون بناء على شهادات وبعد امتحان اختياري تأهيلي يقتصر على معلوماتهم في اللغة العربية الفصحى.

ثم يتابعون تدريباً تربوياً مدة ستة أشهر في مدرسة الثعالبية، 43 نهج ابن شنب، الجزائر.

كما أنهم يتلقون مبادئ في اللغة الفرنسية لأن غالبيتهم يجهلون على العموم هذه اللغة. وبعد فترة التدريب هذه يعينون في المدارس الابتدائية حيث يقضون فترة تمرين تربوي لمدة عام ونصف عام يجتازون إثره امتحانا يرسم الناجحون فيه. إن إنشاء هذا السلك من معلمين ومعلمات اللغة العربية من مزاياه أنه يسمح لبعض المثقفين الجزائريين الذين لا يملكون إلا ثقافة إسلامية بالدخول في الإدارة، هذا إلى جانب كونه يفي باحتياجات الأكاديمية إلى إطارات في مجال التعليم العربي، وهي احتياجات ناتجة عن مدى التقدم المستمر في مجال تعميم التعليم والتدريس.

ب- التعليم:

يقدم هذا التعليم الاختياري باللغة العربية الفصحى وأحيانا باللغة العربية الدارجة بواقع ساعتين في الأسبوع ابتداء من السنة الثانية من الصف الابتدائي، ويعمل المدرسون بين 20 و22 ساعة في الأسبوع، ويتراوح عدد تلامذتهم بين 300 و500 تلميذ.

وتقدم الدروس الخاصة المعدة لتحضير المترشحين إلى امتحان الالتحاق بالسنة السادسة من التعليم الفرنسي- الإسلامي خارج ساعات العمل العادية. لأنه يمكن الجمع فيها بين تلامذة ينتمون إلى أقسام وصفوف مختلفة لمدرسة واحدة أو لعدة مدارس.

غير أن الذي حصل ابتداء من سنة 1958 وبفضل التفاهم الذي أبداه بعض مفتشي التعليم الابتدائي هو أن بعض الأقسام في مدينة الجزائر والبليدة وتلمسان ووهران وعنابة "بالخصوص" تم فتحها في إطار تنظيم خدمة التدريس في المدرسة

وبجدول زمني مناسب للتعليم الفرنسي والعربي، وقد نتجت عن هذه المبادرة آثار طيبة جدية، فيما يبدو، بأن تشمل مدارس أخرى.

كما بدأ أيضا تقديم دروس في اللغة العربية في مدارس للبنات. وقد نال هذا الإجراء استحسانا وتقديرا لدى الأسر الإسلامية.

لقد شهدت السنة الدراسية 1960-1961 في جميع أنحاء الجزائر والأقاليم الصحراوية شمولية التعليم الذي يقدمه المدرسون باللغة العربية لعدد من التلاميذ قدره 88.119 تلميذا منهم 12.152 غير مسلمين، وقد يكون لأهمية هذا الرقم الأخير ما يدعو إلى الدهشة إذا علمنا أن تعليم اللغة العربية تعليم اختياري. غير أنه لا بد من التزام جانب الحذر والحيطه في هذا الصدد، ذلك لأن عددا كبيرا من التلامذة الأوربيين في الواقع يدعوهم مدير مدرستهم إلى متابعة هذه الدروس التي تلقى باللغة العربية الفصحى. وهذا ما يجعلهم لا يولون كبير اهتمام بدراسة هذه اللغة. لكن الجهة المسؤولة "الفرنسية" رأت (أن تلقنهم اللغة الدارجة التي يمكنهم استعمالها استعمالا مباشرا في محيطهم، لكن هذا القرار قد يترتب عليه اختيار معلمين يكلفون بمثل هذا التعليم والمعروف أن المدرسين لم يعدوا ولم يؤهلوا لتدريس اللغة الدارجة. ومن هنا يمكن إسناد هذه المهمة إلى معلمين يتلقون تكويننا مناسباً في هذا المجال خلال وجودهم في مدرسة تكوين المعلمين).

II - التعليم الثانوي:

أ- الثانويات ذات النمط العادي

يمكن لتلامذة هذه المؤسسات أن يختاروا في امتحان شهادة الثانوية العامة "بجزئها الأول والثاني" بين العربية الفصحى والعربية الدارجة، وقد اكتسبت هذه

الأخيرة نفس درجة اللغة العربية الفصحى والإنجليزية والألمانية بموجب القرار الوزاري المؤرخ في 24 سبتمبر 1960 وصارت قابلة لأن يختارها المترشح لامتحان الثانوية العامة كلغة أولى أو لغة ثانية أو لغة وحيدة.

لكن ندرة الأساتذة اضطرت الأكاديمية إلى الاستعانة بمعلمين غير متخصصين مما أحق ضررا بنوعية التعليم المقدم، وازداد هذا الوضع تفاقمًا بحكم صعوبة دراسة اللغة العربية الفصحى شأنها في ذلك شأن اللغة الألمانية، ولذلك نرى عددا كبيرا من التلامذة يعرضون عنها ويؤثرون الإنجليزية أو الإسبانية عليها، بل وهناك من التلامذة المسلمين من ينفر من دراسة اللغة العربية ويختار إحدى اللغتين الأخيرتين لسهولة تعلمهما في نظرهم، ثم أن بعض الأولياء ولاسيما من الموظفين الذين ينتظر نقلهم إلى أم الوطن "فرنسا" يرون أنه من غير المناسب أن يتعلم أبناؤهم اللغة العربية - لأنهم يخشون- وهم في ذلك محقون ألا يستطيع أبناؤهم متابعة دراساتهم للغة العربية في إحدى ثانويات فرنسا، وهي دراسات يجادلون إلى ذلك في مدى مردوديتها، وهذا ما حدث وسيظل يحدث دائما في جزائر ما بعد 1962.

وقد اختار 8.038 تلميذا منهم 2.107 بنات، اللغة العربية الفصحى كلغة أولى خلال السنة الدراسية 60-1961 والمقدر في المتوسط أن تلميذا واحدا من بين عشرة تلاميذ يدرس اللغة العربية، وتلميذا واحدا من بين تلميذين يدرس اللغة الإنجليزية.

ب- ثانويات التعليم الفرنسي - الإسلامي للذكور:

حولت المدارس الرسمية السابقة 1951 إلى ثانويات للتعليم الفرنسي الإسلامي. وحيث أن هذه المؤسسات تقدم إلى جانب التعليم التقليدي الذي توفره المدارس

الرسمية تعليماً تحضيرياً لشهادة الثانوية العامة بشقيها الأول والثاني كان من المنطق إدماجها في الثانويات ذات النمط العادي. فهذه الثانويات السابقة كانت تشكل في مدينتي الجزائر وتلمسان فرع التعليم الفرنكو-إسلامي التابع للثانويات "الوطنية" في تلك المدينتين، وتلك حال ثانوية البنات الموجودة في القبة، بمدينة الجزائر كما سنرى لاحقاً، وتم كذلك إضفاء الطابع العادي على ثانوية التعليم الفرنكو-إسلامي في قسنطينة بضم أقسام من نمط التعليم السائد في فرنسا إليه. غير أننا نلاحظ لدى الأوربيين ضرباً من التردد في توجيه أبنائهم إلى هذه الثانوية.

تشتمل فروع التعليم الفرنكو-إسلامي على الصفوف التعليمية الآتية:

السنة السادسة، والسنة الخامسة، والسنة الرابعة والسنة الثالثة (توجهان اثنان:

قديم "كلاسيكي" وعصري "حديث").

السنستان الثانية والأولى: (ثلاثة توجهات: تقليدي، كلاسيكي وعصري).

الأقسام النهائية: (الصف التقليدي "الفلسفة" توجهان اثنان: كلاسيكي

وعصري).

العلوم التجريبية الرياضية وبرنامج المواد التي تدرس باللغة الفرنسية مماثل لبرنامج الثانويات العادية النمط والمواد المدروسة باللغة العربية هي الآتية: النحو والصرف والعروض وبحور الشعر واللغة والأدب العربيان، والأخلاق والفقه والتاريخ الإسلامي. وتعليم هذه المواد يتم باللغة العربية الفصحى لا غير. ولا يتحدث الأساتذة والتلامذة خلال الدرس إلا بهذه اللغة.

تمنح شهادة انتهاء الدراسة في هذه الثانويات عقب امتحان يشمل جزأين: يجتاز التلميذ الجزء الأول عند انتهاء السنة الأولى (السنة السادسة من التعليم)، ويجتاز الجزء الثاني في منتهى السنة النهائية (السنة السابعة).
وللتلامذة المتخرجين من هذه الثانويات إمكانيتان:

- إذا لم يحصلوا سوى على شهادة انتهاء الدراسة لهم أن يترشحوا لمنصب مدرس من الدرجة الثانية، أو متابعة دراستهم في معهد الدراسات العليا الإسلامية في مدينة الجزائر.

- إذا تحصلوا على شهادة الثانوية العامة لهم أن يلتحقوا بالكليات "الجامعة".
وعلى العموم فإن قليلا من التلامذة المتخرجين من هذه المؤسسات يتوجهون إلى تدريس اللغة العربية وكثير منهم ممن تغريهم المهن التقنية والعلمية يؤثرون متابعة الدراسات العليا.

بلغ عدد تلامذة هذه الثانويات في نوفمبر 1960 ما يأتي: الأبيار "710" تلمسان "310" قسنطينة "313". الأضنام "55".

ج- ثانوية التعليم الفرنكو- إسلامي للبنات:

اشتغلت هذه الثانوية مؤقتا بعد أن فتحت سنة 1953 بمدينة الجزائر، شارع ابن شنب، وفي المدرسة الثعالبية بالذات حيث تم تكوين معلمي العربية التابعين لأكاديمية الجزائر. وقد أنشئت هذه الثانوية لتمكين الفتيات المسلمات من اكتساب ثقافة مزدوجة والارتفاع بذلك إلى مستوى التعليم نفسه الذي يحصل عليه أزواجهن المقبلون، ولتكوين الفتيات اللاتي يهيئهن استعدادهن لمباشرة التعليم العربي في المدارس الابتدائية والتكميلية الخاصة بالبنات. وقد نقلت هذه الثانوية سنة

1959 إلى ثانوية القبة للبنات حيث أصبحت تشكل فرع التعليم الفرنكو-إسلامي.

وابتداء من السنة الثانية من التعليم الثانوي تتابع تلميذات هذا الفرع الدروس المشتركة مع تلميذات الفرع الثانوي العادي باستثناء ما يتعلق بتعليم اللغة العربية والفقہ الإسلامي.

غير أن برامج هذه الفروع من التعليم الفرنكو-إسلامي تختلف اختلافا محسوسا عن برامج فروع التعليم الفرنكو-إسلامي الخاصة بالذكر. إذ تتضمن هذه الأخيرة بصورة خاصة تعليما أكثر استفادة للفقہ الإسلامي.

يتقدم تلميذات فرع القبة للتعليم الفرنكو-إسلامي لنيل شهادة انتهاء الدراسة حسب الشروط نفسها التي يتقدم بها تلامذة فروع التعليم الفرنكو-إسلامي الخاصة بالذكر. وقد نالت أربع بنات من أصل خمس بنات ترشحن لامتحان شهادة الثانوية العامة "الجزء الثاني" بينما نالت واحدة شهادة انتهاء الدراسة فقط وقد حصلت هذه الأخيرة على منصب مدرّسة في إحدى المدارس الابتدائية للبنات.

ومعظم تلميذات هذا الفرع من أوساط متواضعة وهن داخليات وممنوحات ، ولئن كان عددهن 190 في سنة 1959 ، فإن عددهن في سنة 60-1961 ، " 232 " تلميذة "60" منهن في الشعبة الكلاسيكية و172 في الشعبة العصرية.

ومما يجدر ذكره أن فرعا للتعليم الفرنكو-إسلامي قد أنشئ في ثانوية البنات بتلمسان ، ويزاول التعليم في السنة السادسة "السنة الأولى" فيها "20" تلميذة.

وأخيرا، تنبغي الإشارة إلى الحظوة التي تمتع بها هذا النمط من التعليم في أوساط المسلمين ، وما أن أنشئت هذه الثانوية سنة 1953 حتى بادر أولياء من سكان

المناطق الحدودية مع تونس والمغرب إلى تسجيل بناتهم دونما تردد أو انشغال بالتضحيات المادية، ودونما أي خوف أو حرج.

المدرسون:

استحدثت سلك المدرسين سنة 1851 ولم يكلف هؤلاء المدرسون طوال سنين عديدة سوى بتدريس اللغة العربية وبعض المواد الإسلامية في المساجد ولم يأخذوا في تعويض المعلمين تدريجيا لأداء مهمة هذا التعليم الابتدائي من سنة 1918 وسنة 1938 على الخصوص بفضل اتساع نطاق تعليم اللغة العربية في مؤسسات التعليم الابتدائي.

أولا- المدرس في القرن الماضي: عون من أعوان رجال الدين.

1- إحداهت سلك المدرسين

أنشئ هذا السلك بمنشور الوالي العام صدر في 17 ماي 1851. ومما يشهد بمدى الحرص على الحفاظ على المؤسسات الدينية في الجزائر "حسب زعم فرنسا" أن هذا المنشور أضفى طابعا رسميا على التنظيم السابق لشؤون الدين والعبادة. وقد حدد دور المدرس الذي عد من بين رجال الدين على النحو التالي: "أستاذ مكلف على سبيل التخصيص بالتعليم العالي في المساجد من الدرجة الأولى حيث يلقي دروسا تحضيرية تسمح للتلامذة بالمشاركة في مسابقة الدخول إلى المدارس."

الاختصاصات:

لهؤلاء المدرسين دور مزدوج:

-الاضطلاع بالتعليم التقليدي الأدبي والديني في آن واحد، والواقع "أن كبار المثقفين كانوا إلى ذلك الحين وفي المدن الكبرى مثل مدينة الجزائر يجلبون إلى المسجد

عددا هائلا من التلامذة على اختلاف أعمارهم لحضور دروس في النحو والأدب وأصول الدين والفقهاء الإسلاميين والفلسفة وعلم الفلك أو التنجيم.

- تدريس اللغة العربية لمن سيدخلون المدارس التابعة للدولة من التلاميذ.

وفعلا ولتدارك الانحطاط الذي آلى إليه تعليم اللغة العربية وبهدف تكوين رجال القضاء ورجال الدين الإسلاميين تم بالمرسوم المؤرخ في 30 سبتمبر 1850 إنشاء ثلاث مدارس: في المدينة وتلمسان وقسنطينة وقد حولت هذه المدارس إلى "ثانويات للتعليم الفرنكو-إسلامي" سنة 1951 ثم إلى ثانويات عامة سنة 1959. ومعلوم أنه لم يكن هناك في مدينة الجزائر ولا في غيرها من المدن ما يمكن أن يضاهي الجامعات الإسلامية: الأزهر، والزيتونة والقرويين. ولم يكن هناك أي تنظيم للتعليم العمومي في الفترة العثمانية، وكل ما في الأمر أن هناك دروسا تلقى في المسائل الدينية بالخصوص، لكن التعليم ظل في كل مكان ذا نمط وسيطي وتعليمي ديني متخلف.

3- التوظيف ومادة التدريس:

لم يكن المدرسون الذين يعينهم الوالي العام ويتولى أمر تفتيشهم مديرو المدارس مطالبين في بادئ الأمر بأية شهادة ثم أصبحوا ابتداء من سنة 1859 مطالبين بأن يكونوا من حاملي شهادة الدراسات العليا التي تسلمها هذه المدارس ولم يكونوا تابعين للأكاديمية، مع العلم أنه صدر قرار في 31 ديسمبر 1873 يفوض لعمال العمالات تعيين رجال الدين. وألغى قرار 13 ماي 1896 هذا الإجراء فيما يخص المدرسين، كما صدر قرار أول أوت 1895 الذي أعقب المرسوم المؤرخ في 23 جوان 1895 والمتضمن إعادة تنظيم المدارس.

وحدد القرار الصادر في 30 جوان 1898 والذي ينظم خدمتهم في المساجد عددهم بواحد وعشرين مدرسا وعدد المواد التي يتولون تدريسها: اللغة والأدب العربي "إلزامي" أصول الدين أو علم الكلام والفقه الديني والمدني "اختياري" وكانت الدروس تلقى من أول أكتوبر حتى 30 جوان.

ثانيا-تطور اختصاصاتهم:

جاء هذا التطور نتيجة لإضفاء الطابع اللائكي تدريجيا على وظيفتهم. فقد كان المدرس سنة 1851 رجلا من رجال الدين يلقي في المسجد دروسا في الأدب وشؤون الدين على المسلمين من مختلف الأعمار. ومنذ سنة 1951 حيث جعل مماثلا للمعلم، صار يعلم في المدرسة العمومية اللغة العربية لتلاميذ دون تمييز بين أجناسهم ودياناتهم، وقد تم هذا على مراحل عدة.

1-المدرس ينتقل إلى المدرسة العمومية.

أ-خصص المدرسون ثلث وقتهم ابتداء من سنة 1918 لتعليم الكبار، والباقي للتعليم في المدارس الابتدائية التي يؤمها أبناء الجزائريين. غير أن هؤلاء لم يستفيدوا شيئا من هذه الدروس التي تلقى خارج الأوقات العادية.

ب-سعى قرار صادر في 4 فيفري 1938، ومنشورات لاحقة لرئاسة شؤون التعليم إلى تلافي هذا المحذور. إذ رخص للمدرسين بتعويض المعلمين بهذه المدارس لتعليم اللغة العربية الذي كان واردا في البرامج المدرسية منذ سنة 1890 لكنهم بوصفهم موظفين تابعين للإدارة المركزية وغير تابعين للأكاديمية. فقد كانوا أحيانا لا يجدون الاستقبال الحسن لدى بعض مديري المدارس الذين لم يكونوا يدركون مدى الفائدة من تعليمهم.

ج-وفي سنة 1949، نتج عن إدماج المعلمين "أ" و "ب" توحيد البرامج في جميع المدارس الابتدائية والحال أن تعليم اللغة العربية المنصوص عليه في قانون 1947 الأساسي لما ينظم بعد. وكلف المدرسون مؤقتا بموجب مرسوم من رئاسة شؤون التعليم بإعطاء بعض الدروس.

4- الاختيارية في اللغة العربية الفصحى في المراكز الحضرية الكبرى

لقد كلفهم القرار الوزاري الصادر في 2 مارس 1949 بتدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية عملا بالمادة 57 من القانون الأساسي التنظيمي للجزائر. وحدت مدة خدمتهم ب 22 ساعة أسبوعيا على الأكثر ويشتمل سلم مراتبهم على ثماني درجات: 7 مراتب و 1 "خارج الترتيب" ودرجة تدريبية واحدة.

وتقرر أن يتمتعوا بالرواتب والتعويضات والمزايا المختلفة الأخرى الممنوحة للمعلمين. كما تقرر أن يتحدد عددهم وتوزيعهم على المناصب بقرار من الوالي العام بناء على اقتراح من رئيس الأكاديمية. وكان عليهم أن يحصلوا على شهادة انتهاء الدراسة في المدارس الرسمية. ويخول أصحاب شهادة الدراسات العليا للمدارس الرسمية شهادة الفرع التربوي لمعهد الدراسات العليا الإسلامية الحصول على صفة "أستاذ اللغة العربية".

والواقع أن هذا القرار لم يطبق ولم يوضع قانون أساسي للمدرسين إلا في شهر جوان 1951.

سحب المدرس من المسجد

رافق هذا التوسع في تعليم اللغة العربية الذي يقدمه المدرسون لتلاميذ المدارس الابتدائية العمومية تراجع للتعليم الديني الذي كانوا يقومون به في المساجد كما جدد

التذكير به قرار 14 فيفري 1938. ومع أن معظم المدرسين الشبان الذين تلقوا تكوينهم في المدارس الفرنسية لشديدو التمسك بدينهم وعبادتهم إلا أنهم يشعرون في الواقع بقلّة ميلهم وانجذابهم إلى تعليم الكبار الذي يتطلب نضجا في الفكر وحسا تربويا خاصا.

ثالثا-مدرس اليوم: معلم.

1-التوظيف

أصبح المدرسون بموجب مرسوم 14 جوان 1951 الذي يحدد قانونهم الأساسي تابعين لرئاسة الأكاديمية. وهم مصنّفون في فئتين اثنتين: الفئة الأولى تشمل حاملي شهادة انتهاء الدراسات العليا في المدارس الرسمية أو شهادة الفرع البيداغوجي لمعهد الدراسات العليا الإسلامية. والفئة الثانية تشمل حاملي شهادة الدراسات الثانوية في المدارس الرسمية. وتشمل كل فئة سبع درجات مسبقة بدرجة الفترة التدريبية، وبعد الممارسة مدة خمس سنوات في الفئة الأولى يمكن المدرسين الحصول على رتبة "أستاذ اللغة العربية".

2 -عدد المدرسين وتوزيعهم الإقليمي

بلغ عدد المدرسين 353 مدرسا وياشر نحو 20 منهم العمل في الأوساط البربرية: 4 في منطقة القبائل الكبرى، و3 في القبائل الصغرى، و11 في الأوراس.

3 - المؤسسات التي يعملون فيها

أ-في مدارس الذكور

يقدم المدرسون تعليما "اختياريا" للغة العربية في المدارس الابتدائية والتكميلية وكل واحد منهم معين من حيث المبدأ للتدريس في مدرسة واحدة وياشر عمله في

أقسامها. ودروسه مشمولة في التوقيت العادي بالنسبة إلى الأقسام التي تعمل كامل الوقت. أما في الأقسام التي تعمل بنظام التوقيت الجزئي فإن الدروس التي يقوم بها المدرسون قد تلقى خارج الأوقات العادية.

وفي الأقسام التكميلية حيث توجد اللغة العربية في البرنامج بصفتها لغة من اللغات الحية، فإن الدروس تلقى فيها خلال الأوقات العادية.

والدروس الخاصة التي تعد لتحضير المرشحين إلى امتحان الالتحاق بالسنة 6 "السنة الأولى" من التعليم في ثانويات التعليم الفرنكو- إسلامي تقدم خارج الأوقات العادية، لأنه يمكن الجمع فيها بين تلامذة ينتمون إلى أقسام مختلفة في مدرسة واحدة أو عدة مدارس.

ب- في مدارس البنات

أصبحت دروس اللغة العربية منذ سنة 1952 تقدم في مدارس البنات بناء على طلب من أسر التلميذات. غير أن بعض الجزائريين المحافظين والحريصين على التفريق بين الجنسين اقترحوا إنشاء سلك نسوي من المدرسين. وكان هذا من دواعي إنشاء ثانوية للتعليم الفرنكو- إسلامي خاصة بالبنات في مدينة الجزائر.

وقد عينت في سنة 1952 أول مدرسة حائزة على شهادة انتهاء الدراسة في ثانويات التعليم الفرنكو- إسلامي لتباشر عملها في البلدية. أما معلمات اللغة العربية فإن عددهن بلغ في هذه الفترة 15 معلمة بينما توجد 8 منهن في حالة تدريب.

ويبدو من المستحسن أن تكتسب هؤلاء المعلمات المربيات اللاتي سيباشر بعضهن العمل في المراكز القروية معارف ومعلومات متينة في التدبير المنزلي وحفظ الصحة ومن تربية الأطفال زيادة على الثقافتين العربية والفرنسية. لأنهن سيدعون أحيانا ودون

شك إلى القيام بدور الممرضات والمساعدات الاجتماعية على سبيل التطوع فضلا عن مهامهن كمعلمات اللغة العربية.

ج- في المسجد

لم يتحدث قانون المدرسين الأساسي بشيء عن التعليم في المساجد. لأنه لا يحق لهم باعتبارهم موظفي التربية "الوطنية" إلا التدريس في المؤسسات التابعة للسلطة الأكاديمية. غير أنه يمكن المدرسين أن يلقوا دروسا في المسجد إذا طلب منهم ذلك، لكن في إطار خصوصي وخارج أوقات عملهم الرسمي وبشرط ألا ينتج عن ذلك أي اضطراب أو قلاقل. وتلك حال السيدين ابن يلس وابن آشنهو اللذين يلقيان دروسا أحدهما في الجامع الكبير بالجزائر والآخر في مسجد وهران.

4- البرامج وساعات العمل

يلقن المدرسون العربية الفصحى: من لغة ونحو وتعبير ودراسة نصوص ميسرة. ويعملون بين 20 و22 ساعة في الأسبوع. وهذا التعليم الذي هو اختياري من حيث المبدأ يقدم بواقع ساعتين في الأسبوع ابتداء من الصف الابتدائي الثاني.

5- عدد التلاميذ الدارسين

يتراوح عدد تلامذة المدرس بين 300 و500 تلميذ. وقد ازداد عددهم في مجموع الجزائر خلال السنوات الأخيرة كما يتجلى ذلك من الجدول الآتي.

1960	1955	الناحية
38.678 من بين 309.436 مدرسين	14.00	الجزائر
25.818 من بين 255.606 مدرسين	13.00	قسنطينة
21.000 من بين 274.912 مدرسين	12.000	وهران
2.623 من بين 27.553 مدرسين	-----	الصحراء

ويدخل في نطاق هذا العدد سنة 1960 ما يأتي 15.860 من البنات المسلمات و12.152 من البات غير المسلمات.

ب- الأقسام التكميلية

بالنسبة إلى السنة الدراسية 1960.

الأوروبيون				المسلمون			
المجموع الكلي	مجموع	إناث	ذكور	مجموع	إناث	ذكور	
5506	781	522	229	472	115	357	اللغة ع
				5	3	2	ف

1898	130 1	754	547	597	125	472	اللغة ع د
7404	208 2	130 6	776	532 2	127 8	404 4	المجموع

6- التلامذة البربريو اللسان

ما من شك في أن تعليم اللغة العربية في منطقة القبائل قليل الانتشار فلم يتعلم اللغة العربية في تيزي وزو، في هذه السنة، إلا 1.881 تلميذا منهم 1.595 من الذكور و95 من البنات. غير أن تعليم هذه اللغة يحظى على العموم في هذه المدينة بالقبول والحماس بل غالبا ما يحظى باهتمام أكثر مما هو الأمر في المناطق العربية اللسان. فلم يكن لعمالتي سعيدة وتيارت مجتمعتين سنة 1960 ألا عددا أقل في هذا المجال من عمالة تيزي وزو. وعلى كل حال، فإنه ما من جهة من جهات المناطق البربرية اللسان لوحظ بها أدنى تردد في هذا الصدد. إن 40 تلميذ في فرع التعليم الفرنكو-إسلامي بثانوية الأبيار و52 تلميذا في الفروع ذات النمط الأوربي جاءوا من القبائل.

إن توسيع تعليم اللغة العربية في المناطق الناطقة بالبربرية مسألة قام بشأنها شيء من الجدل.

7- التلامذة الأوربيون

لقد اختار حوالي 2.000 تلميذ أوربي اللغة العربية في الأقسام التكميلية التي تعد فيها دراسة لغة من اللغات الحية إجباريا. كما أن عددهم في المدارس الابتدائية عدد كبير نسبيا "أكثر من 12.000" غير أن هذا لا يعني مع ذلك كما سبق وأن

ذكرناه. أنهم يعلقون أهمية على دراسة هذه اللغة. ومن اللائق في هذا المجال أن نشير هنا إلى أن الشبان الأوربيين قد أقبلوا على دراسة اللغة العربية التي تجلت أهميتها لهم أكثر من أي وقت مضى.

8- الانضباط وأعمال التفتيش

كل مدرس عين في مدرسة من المدارس يكون حيال مدير هذه المدرسة خاضعا لنفس الوضع الذي له أي معلم من معلميه. ومن الواجب إذن أن ينصاع وينقاد للتنظيم الخاص بالمدرسة.

يتولى تفتيش المدرسين في كل عمالة أحد مديري ثانويات التعليم الفرنكو-إسلامي. ولما كان هؤلاء لا يستطيعون أن يخصصوا الوقت الكافي لهذا التفتيش بحكم ارتفاع عدد تلامذتهم ارتفاعا هائلا. وتزايد عدد المدرسين، فقد اعتمدوا مبدأ إعفائهم من هذه المهمة ودخل المبدأ حيز التنفيذ منذ 15 فيفري 1961. وذلك بعد أن تقرر إسناد مهمة التفتيش هذه إلى هيئة تفتيش تستحدث سنة 1962. ولقد أنشئت لجنة تقنية ثنائية مختصة بمسائل الترقية والتأديب بموجب قرار وزاري مؤرخ في 8 جوان 1953.

9- النتائج المسجلة

إن النتائج التابعة لقيمة المعلمين المهنية نتائج تختلف اختلافا كبيرا من معلم لآخر. فهؤلاء على العموم يؤدون رسالتهم بإخلاص، بل ومنهم من يحصل على نتائج ممتازة.

10 - نقابتهم

إن جمعية المدرسين التي أنشئت سنة 1927 قد تحولت بعد ذلك إلى نقابة في حدود سنة 1947. وفي نهاية سنة 1952 أخفقت المفاوضات التي أجريت لإدماجها في اتحادية التربية الوطنية المستقلة التي تضم غالبية المعلمين والأساتذة. وانخرطت هذه النقابة سنة 1956 في الاتحاد العام للعمال الجزائريين. ولما حل هذا الاتحاد سنة 1957 نتيجة لعوامل أجعلها شخصيا "الآن" توقفت نقابة المدرسين عن النشاط، ولم تعد نشرتها الداخلية الشهيرة "المدرس" تصدر. وانضم أعضاؤها منذ ذلك الوقت إلى جمعية قدماء تلامذة التعليم الفرنكو- إسلامي في الثانويات والمعاهد الثانوية التي تخرجوا منها مبدئيا. وكان رئيس هذه الجمعية السيد بن حسين والأمين العام هو السيد عبد القادر عداد. وقد دعت هذه النقابة غير ما مرة إلى ترسيم اللغة العربية وإجبارية تعليمها. وتحت عنوان "مدرسة مزدوجة اللغة، وتراث مشترك مفخرتنا غدا". جاء في افتتاحية عدد أبريل 1954 من نشرة "المدرس" أن (من أفضل الوسائل لوثام حقيقي وتفاهم جيد بين سكان أي بلد احترام نمط تعبيرهم الطبيعي) ثم أعربت عن الأسف والاستنكار "لقيام المجلس الجزائري منذ سبع سنوات بكبح تعليم اللغة العربية وعرقلته في جميع المستويات". واقترحت "تلقيين جميع الأطفال الجزائريين، دون تمييز، الثقافتين العربية والفرنسية لأن المدرسة المزدوجة اللغة هي أقوى إسمنت لبناء الصداقة بين أسلافنا".

سادسا-مدرس الغد: معلم ثنائي القيمة

إن توسيع نطاق تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية سوف لا يطرح مشكلة مالية فحسب بل سيترجم مشكلة تأطير أيضا. ذلك أن تكوين معلمين أكفاء يتطلب في

الواقع سبع سنوات من الدراسة الثانوية، والحال أن عدد خريجي ثانويات التعليم الفرنكو- إسلامي الثالث ومعهد الدراسات العليا الإسلامية، ما يزال ضئيلا نسبيا في هذه الفترة. وقد سلمت سبعة وستون (67) شهادة تخرج سنة 1960 لتلامذة فروع التعليم الفرنكو-إسلامي، 29 منها في الجزائر- ابن عكنون- و5 في الجزائر - القبة- و18 في قسنطينة، و15 في تلمسان.

وهناك 6 من تلامذة معهد الدراسات العليا الإسلامية قد حصلوا أيضا على شهادة انتهاء الدراسة. ومنذ أكتوبر 1954 صار الخريجون المترشحون للتدريس يقضون فترة تدريب مهني لمدة عام واحد بمدرسة المعلمين في بوزريعة. غير أن ندرة الأساتذة المؤطرين لم تسمح إلا بتدريب دفعتين فقط. وصار المترشحون للتعليم نتيجة لهذه الندرة يعينون في مناصب للتعليم بمجرد ترشحهم لذلك.

وحتى لو قدر الحصول على ارتفاع لعدد المتخرجين في فروع التعليم الفرنكو- إسلامي فلا يمكن الحصول على العدد الكافي قبل انقضاء مدة طويلة.

وهذا يؤدي بنا إلى التفكير في استحداث صيغ أخرى، حيث يرى البعض أن معلما له دراية كافية باللغة العربية الفصحى يمكنه أن يدرس هذه اللغة بكفاءة ولو لم يكن حاملا لشهادة جامعية فرنسية.

ويكفي أن يختار من سيدخلون مدرسة تكوين المعلمين اللغة العربية كلغة حية. وأن يتلقوا طوال إقامتهم بتلك المدرسة التكوين التربوي المطلوب. وكذلك يمكن قدماء تلامذة ثانويات التعليم الفرنكو- إسلامي الحاصلين على شهادة انتهاء الدراسة في تلك الثانويات وعلى شهادة الثانوية العامة أن يضطلعوا بدور المدرس والمعلم في آن

واحد بعد سنة أو سنتين من التكوين التربوي في مدرسة لتخريج المعلمين. وبذلك يمكن الوصول إلى انتهاج صيغة تخريج معلمي ثنائي القيمة أي "معلمين ومدرسين".

ويكفي على وجه المثال توظيف "معلمي ثنائي القيمة" لثلاثة أقسام دراسية على أن يقدم "المعلم المدرس" في أسبوع ساعتين في مادة اللغة العربية في قسمه وفي قسمي زميلين له وأن يكلف هذان الزميلان بالتدريس مدة ساعتين لكل منهما لتلامذته هو.

إن صيغة المدرس "المتنقل" أي الذي يتولى التدريس في عدة مراكز قريبة بعضها لبعض، صيغة مرضية إلى حد ما، إلا أنها مضيعة لكثير من الوقت في التنقل. كما أن عددا من المراكز بعيدة بعضها عن بعض بحيث يمكن أن يشغلها مدرس بعينه.

وأخيرا فإن قيام أكاديمية الجزائر سنة 1959 بإحداث إطار معلمي العربية جاء ليسد الحاجة من هذا العجز في المدرسين.

التعليم العالي

أ- كلية الآداب

لهذه الكلية كرسي لتدريس اللغة العربية العصرية، وكرسي لتدريس الحضارة الإسلامية، وآخر للغة والأدب في شمال إفريقيا، وكرسي للدراسات المعمقة في اللغة العربية وآدابها، وجميعها تحضر لنيل شهادات: الأهلية "بروفي" والديبلوم، والإجازة "الليسانس" وشهادة وديبلوم الدراسات العليا، والتبريز. كما تحضر هذه الكلية لنيل شهادة الكفاءة لتدريس اللغة العربية في الثانويات والمعاهد ومدارس تكوين المعلمين.

وعدد الطلبة المسجلين في سنة 1961-60 هو الآتي:

المجموع	المسلمون		الأوروبيون		الشهادات
	إناث	ذكور	إناث	ذكور	
38	4	34	/	/	الليسانس
32	2	30	/	/	الديبلوم
166	46	114	2	4	البروفي
236	230		6		المجموع

وفي سنة 1960 نجح مترشحان أحدهما فتاة أوروبية في امتحان شهادة التبريز في اللغة العربية.

وقد تم إنشاء مركزين للدراسات الإسلامية العليا تحضر فيهما شهادة البروفي والديبلوم، أحدهما في قسنطينة "47 مسجلا" والآخر في تلمسان "41 مسجلا"، وهذان المركزان التابعان لجامعة الجزائر ألحق أحدهما بالثانوية "الوطنية" في قسنطينة، وألحق الثاني بالثانوية في تلمسان.

وتم إلحاق معهدين بجامعة الجزائر وهما:

أولاً- معهد الدراسات الشرقية في كلية الآداب

إن هذا المعهد الذي كان يديره "جورج مارسى-Georges Marcais" وأنشئ سنة

1933 يستجيب لمتطلبين إثنين:

أ- التنسيق بين التعاليم الإستشراقية التي تقدم في كليتي الحقوق والآداب.

ب- تشجيع البحوث ونشر نتائجها.

وليس لهذا المعهد تعليم خاص يتولى تلقينه ولكنه يصدر ما يأتي:

- 1- حوليات معهد الدراسات الشرقية.
 - 2- منشورات معهد الدراسات الشرقية كرسائل دكتوراه في معظمها.
 - 3- المكتبة العربية ، وهي نصوص عربية ينشرها مختلف المستشرقين.
- كما يجتمع دوريا أثناء السنة الجامعية للاستماع إلى بيانات بشأن أعمال البحث التي يتولاها أعضاؤه.

ثانيا-معهد الدراسات العليا الإسلامية

تأسس هذا المعهد الذي كان يمثل القسم الأعلى لمدرسة الجزائر الرسمية سنة 1946. وهو مفتوح لاستقبال جميع المترشحين الحائزين شهادة انتهاء الدراسة في الثانويات الفرنكو- إسلامية والناجحين في امتحان القبول. ومفتوح أيضا لاستقبال حاملي شهادة الثانوية العامة التي تمنحها تلك الثانويات أو الثانويات والمعاهد ذات النمط العادي إذا ما اختاروا اللغة العربية كلغة أولى وكانت غايتهم تحضير شهادة ليسانس اللغة العربية. ومفتوح كذلك لاستقبال المترشحين غير الحائزين شهادة الثانوية العامة أو دبلوم انتهاء الدراسة شريطة النجاح في امتحان الدخول إلى هذه المؤسسة. ومدة الدراسة في هذا المعهد سنتان بالنسبة إلى التلامذة الذين لا يحملون شهادة الثانوية العامة، وثلاث سنوات بالنسبة إلى حاملي هذه الشهادة، ولكل فرع من هذين الفرعين توجهات ثلاثة أو شعب ثلاث.

الأدب " لتكوين المدرسين".

الإدارة "لتكوين الكتاب المترجمين باللغة العربية".

القضاء "للتكوين في وظيفتي القاضي والبا ش عدل".

وكان هذا المعهد يأوى في شهر نوفمبر 1960 أربعة وأربعين "44" تلميذا

موزعين حسب الآتي :

المجموع	السنة 3	السنة 2	السنة 1	الشعب
/	/	/	/	شعبة القضاء
43	9	10	24	شعبة الأدب
1	/	/	1	شعبة الإدارة
44	9	10	25	المجموع

يتخرج من السنة الثالثة حاملو شهادة الأهلية لتعليم المواد التعليمية الإسلامية في

فروع التعليم الفرنكو- إسلامي "شعبة اللغة والأدب، وشعبة العلوم الشرعية".

ويتبين من ملاحظة الجدول أعلاه أن 43 من أصل 44 يتجهون إلى تدريس

اللغة العربية. وما غياب المترشحين لمتابعة التعليم في شعبة القضاء أو العلوم الشرعية

إلا دليل على الأزمة التي كان يعانها القضاء الإسلامي في تلك الفترة. ذلك أن

التلاميذ كانوا يفضلون في الواقع مهنة المدرس أو الأستاذ وهما منصبان من مناصب

الوظيفة العمومية يشملها قانون أساسي وراتب جوهري على مهنة العدل أو الباش

عدل التي لا تخول أي ضمان ولاسيما في ذلك الزمان. فهذان المنصبان اللذان لا

يتدرجان في عداد الوظيفة العمومية يتأتى أجرهما من عائدات المحكمة ومداخيلها.

أما الشعبة الإدارية فإنها لم تحظ بأي تقدير قط. إذ لا نجد منذ 1946 إلا

مترشحا أو مترشحين في المتوسط ضمن كل دفعة تخرج اختار هذه الشعبة.

د-المدرسة التطبيقية للدراسات العربية

تتمثل الغاية من هذه المدرسة التي أنشئت سنة 1945 في تمكين مختلف

المجموعات العرقية من مزيد من حسن التفاهم فيما بينها. والتعليم فيها مجاني. ولا

يدخلها إلا الأشخاص الذين تزيد أعمارهم على 19 سنة ولا يزاولون التعليم في أية مؤسسة مدرسية. وهي معدة بصورة خاصة لاستقبال الموظفين أو من سيغدون موظفين مدنيين كانوا أم عسكريين وللمستخدمين من جميع الفئات والتجار والمحامين والمساعدات الاجتماعيات والمرضات... الخ.

وتضم دورة الدراسة فيها أربع درجات تتوج بامتحانات مشفوعة بعلاوات. غير أن الشهادة التي تمنحها هذه المدرسة لا تخول صاحبها أي حق في الحصول على منصب في الإدارة. ولكل ناحية من نواحي الجزائر عدد من مراكز الدروس والمحاضرات: الجزائر، خميس مليانة، البليدة، شرشال، المدية، مليانة، الأضنام، وهران، أدرار، معسكر، مشرية، مستغانم، سعيدة، سيدي بلعباس، تيارت، تلمسان، قسنطينة، باتنة، عنابة، سكيكدة، وسطيف.

يتم التحضير للدرجتين الأولى والثانية في جميع المراكز. وتحضر الدرجة الثالثة في مدن الجزائر ووههران وقسنطينة، أما الدرجة الرابعة فلا تحضر إلا في مدينة الجزائر.

الدرجات	الامتحانات والشهادات	العلاوات السنوية
الدرجة الأولى	امتحان في اللغة الدارجة	علاوة الفئة الرابعة 160 ف ج "الابتدائية"
الدرجة الثانية	أ- شهادة العربية الدارجة الجزائرية.	علاوة الفئة الثالثة 310 ف ج
"تحسين المستوى"	ب- شهادة العربية الفصحى	

الدرجة الثالثة "معلومات موسعة"	بروفي أهلية الدراسات التطبيقية العربية	علاوة الفئة الثانية 400 ف ج
الدرجة الرابعة	ديبلوم الدراسات التطبيقية العربية	علاوة الفئة الأولى 600 ف ج

بلغ عدد التلامذة 1.200 تلميذ في جميع مراكز الجزائر خلال السنة الدراسية 1960-59

التعليم الإسلامي الحر "التعليم العربي غير الرسمي"

لم تستطع الإدارة حتى الآن، رغم جهودها المستمرة أن تدخل كافة الشبيبة الجزائرية إلى المدارس. فقد دخل المدرسة خلال سنة 1961/60 ما تعدادها: 946.933 طفلا من أصل حوالي مليوني طفل بلغوا سن التمدرس، في الابتدائي (867.507) وفي الثانوي (46.848) وفي التقني (25.330) وفي العالي (7.248).

ومن ناحية أخرى فإن تنظيم التعليم العربي في المرحلة الأولى ما يزال، كما لاحظنا آنفا، دون المستوى لیتسنی تلبية رغبات جميع التلامذة المسلمين الراغبين في تعليم اللغة العربية الفصيحة. لذلك فإن مؤسسات التعليم الخاص "الحر" التي يفتحها المسلمون تشكل رافدا لا يستهان به على الرغم من جوانب النقص التي تشوب طرقهم التربوية، وعدم كفاية معلميهم ونقص تأهيلهم.

والتعليم الخاص الذي يتولاه المسلمون يهدف خاصة إلى تلقين اللغة العربية للتلامذة العرب ودراسة القرآن الكريم واردة أيضا في برنامج هذا التعليم. أما المواد

الدينيوية الأخرى مثل الحساب، والتاريخ، والجغرافيا، والعلوم الطبيعية، والمواد الإسلامية، كالفقه والأصول... الخ. فإنها تدرس في مدارس ذات مستوى أعلى. ولما كان التشريع الخاص بالتعليم غير الرسمي في الجزائر هو التشريع نفسه الساري على جميع المؤسسات من هذا القبيل، فإن مؤسسات التعليم الخاص "الحر" التي يفتحها المسلمون مصنفة حسب المواد التي تدرس فيها.

أ- الكتاتيب القرآنية

تخضع هذه المدارس لأحكام المرسومين المؤرخين في 18 أكتوبر 1892 و 27 نوفمبر 1944 وهي ملحقة بدروس التعليم الديني من حيث مماثلتها لها. فهي لذلك مدارس دينية كالمدارس الخاصة المسيحية.

ولا تدرس عموماً إلا اللغة العربية (القراءة والكتابة والنحو أحياناً) والقرآن. ويضيف بعض هذه المدارس إلى برامجها مبادئ وجيزة في الحساب والرسم وشيء من الأشغال اليدوية والأنشيد وغالباً ما يقدم معلموها الذين لم يتلقوا تكويناً تربوياً تعليمياً من النمط التقليدي القديم. وتلقى الدروس في أماكن ومبان مؤقتة وحيثما اتفق. يجلس المعلم على حصيرة ويتحلق حوله التلاميذ. ولم يتطور إلا عدد قليل من هذه المدارس. وهي خاضعة لرخصة افتتاح تسلمها السلطة الولائية ولا يمكنها أن تستقبل الأطفال الذين هم في سن الدراسة إلا خارج أوقات الدراسة في مدرسة رسمية لا تبعد عنها بأكثر من ثلاثة كيلومترات وفي أقسامها متسع من الأماكن. ولا يتناول الأعمال التفتيشية لهذه المدارس إلا جوانب الاستقامة الخلقية للمعلمين، وجوانب حفظ الصحة والنقاوة للأقسام. يتعرض معلمو هذه المدارس للمتابعات القضائية وتغلق أبواب مدارسهم إذا ما أقدموا على تلقين تلامذتهم ما يحرضهم على العصيان والتمرد

على السلطة الحاكمة. وهذه العقوبات ذات طابع إداري، وتشكل قرارا سلطويا مثله مثل رخصة افتتاح المدرسة. ويذكر إحصاء يرجع تاريخه إلى سنة 1959 أن 1.687 مدرسة قرآنية تستوعب: 48.597 تلميذا.

المجموع	عدد التلامذة		عدد المعلمين	عدد المدارس	النواحي
	إناث	ذكور			
11.75 7	2.290	9.467	351	284	الجزائر
10.95 4	2.019	8.935	454	443	وهران
25.88 6	3.577	22.309	993	960	قسنطينة
48.59 7	7.886	40.711	1.798	1.687	المجموع

ب- المدارس

تخضع هذه المؤسسات إلى قانون 30 أكتوبر 1886 وللمراسيم المؤرخة في 18 أكتوبر 1887، و27 نوفمبر 1944 و 30 سبتمبر 1957. وتعد مماثلة للمدارس الابتدائية الخاصة. وباعتبارها كذلك، يتعين عليها أن تقوم شأنها شأن المدارس العمومية "الرسمية" بتدريس المواد المذكور تعدادها في المادة 27 من المرسوم المؤرخ في 18 أكتوبر 1887، وتنص المادة 3 من المرسوم المؤرخ في 27 نوفمبر 1944. كذلك على أن يشمل التوقيت الأسبوعي للدروس في هذه المؤسسات ما لا يقل عن 15 ساعة من التعليم باللغة الفرنسية كتابيا أو شفويا، وأنها حرة في

تدريس الحساب والتاريخ والجغرافيا... الخ. باللغة الفرنسية أو باللغة العربية، فالمهم هو احترام قاعدة إلزامية 15 ساعة من التعليم بالفرنسية، وقد احتفظ بهذه الإلزامية في المرسوم المؤرخ في 30 سبتمبر 1957. لا يخضع افتتاح أية مدرسة إلا لمجرد تصريح يوجهه-لقاء وصل- إلى السلطة الولائية، على أن المحل يجب أن تتوفر فيه بعض الشروط الصحية وأن يوافق عليه رئيس البلدية، وما لم يكن ثمة اعتراض صريح، يمكن فتح المدرسة عند انقضاء مهلة شهر دون أي إجراء آخر. ويمكن اعتراض ذلك في الحالات الآتية:

- إذا لم يكن المحل لائقا للتدريس.

- إذا لم يكن المعلم من معلمي التعليم العمومي المفصولين عن العمل وأراد أن ينصب نفسه معلما حرا "خاصا" في البلدية التي كان يمارس فيها التعليم العمومي. وحسب إحصاء سنة 1959، بلغ عدد المدارس الحرة المفتوحة 43 مدرسة يؤمها 14.472 تلميذا.

المجموع	عدد التلامذة	عدد المعلمين	عدد المدارس			النواحي
			المجموع	المغلقة	المفتوحة	
	إناث	ذكور				
5.304	2.638	20.66 6	25 84	5	20	الجزائر
/	/	/	/	/	/	القبائل الكبرى

	/	/	/	/	/	الشلف
585	289	296	6 3	1	2	المدية
5.888	2.962	2.962	28 90	6	22	المجموع
80	30	50	92 8	7	1	وهران
137	/	137	2 24	23	1	تلمسان
/	/	/	/ 2	2	/	تيارت
/	/	/	/ /	/	/	مستغانم
217	30	187	4 34	32	2	المجموع
4.376	1.701	2.675	18 67	8	10	قسنطينة
1.066	405	661	11 15	8	3	سطيف
1.501	717	784	24 4	1	3	باتنة
1.423	454	969	19 7	4	3	عنابة
8.366	3.277	5.089	40 125	21	19	المجموع
14.47 2	6.234	8.238	102 219	59	43	المجموع العام

وأخيرا مؤسسة إسلامية للتعليم الخاص في قسنطينة ذات مستوى أعلى من مستوى المدارس التي سبق وصفها. أسسها في هذه المدينة، بموافقة الإدارة الفرنسية

سنة 1946 الشيخ عمر بلحملاوي، شيخ الزاوية الرحمانية في عين العرس "دائرة قسنطينة" فالكلية الكتانية تقدم لنحو مئة من الطلبة تعليما بالعربية يشمل المواد الآتية: علوم الدين، اللغة العربية، النحو والصرف، والبلاغة، والعلوم، والحساب، والتاريخ والجغرافية. ومنذ شهر نوفمبر 1959 انتدبت الأكاديمية معلمين لتدريس اللغة الفرنسية فيها بواقع ثلاث ساعات في الأسبوع. وحتى سنة 1954 كان في مقدور طلبة هذه المؤسسة الناجحين في امتحان تشرف عليها لجنة من أساتذة جامعة الزيتونة التونسية أن يطمحوا إلى متابعة دراساتهم في هذه الجامعة. وقد نافست الكتانية طوال نحو عشر سنوات معهد ابن باديس الذي يماثلها في المستوى. غير أن هذا المعهد أغلق سنة 1957 بسبب النشاط الوطني المناهض للاستعمار الذي كان مسيره من جمعية العلماء الإصلاحيين يمارسونه. وكانت الكلية الكتانية ترعى جمعية ثقافية هي "الرابطة العالمية أو العلمية". ونعني بالكلية هنا مدرسة من مستوى التعليم الثانوي، وكانت تعمل في البداية في زاوية الشيخ بلحملاوي، بموافقة الإدارة إلى جامع سيدي الكتاني بقسنطينة سنة 1946.

معلمو العربية التابعون لأكاديمية الجزائر

لقد سعت الإدارة الاستعمارية بقصد تلطيف حالة العجز في مجال إطارات التعليم العربي الخاص بالسلك الابتدائي "بحيث كان عدد المدرسين سنة 1959/58 لا يتجاوز 246 مدرسا". إلى توظيف معلمين آخرين لهم معلومات واسعة متينة في مادة اللغة العربية تسمح لهم عقب فترة تدريب بيداغوجي بأن يتولوا مهمة التدريس في مؤسسات التعليم الابتدائي، ولو أن هؤلاء المعلمين لم يتلقوا تكويننا يماثل تكوين المدرسين.

وقد صدر مرسومان في 30 أكتوبر 1959 أولهما يحمل رقم 194/59 ويتضمن إنشاء سلك معلمي اللغة العربية التابعين لأكاديمية الجزائر. وثانيهما يحمل رقم 195/59 ، ويتضمن التنظيم الإداري العمومي المتعلق بالقانون الأساسي الخاص بهذا السلك الجديد.

1-التوظيف

يوظف معلمو اللغة العربية بناء على شهادات تثبت مدى معارفهم الواسعة في مجال اللغة العربية الفصحى. ويعرض ترشيحهم على لجنة انتقاء لدراسته. والذين تقبلهم هذه الهيئة يجتازون امتحانا تأهليا يشمل مادة إنشاء تحريري باللغة العربية وسؤالين في النحو العربي أحدهما نظري والثاني تطبيقي. وليست معرفة اللغة الفرنسية مطلوبة ولكنها مستحسنة.

وينبغي فضلا عن ذلك أن تتراوح أعمار المترشحين بين 18 سنة في الأقل و35 سنة في الأكثر. "ويمكن تأخير هذا الحد الأقصى من العمر بخمس سنوات في حالات محددة " وأن تتوفر فيهم الشروط المطلوبة لشغل منصب إداري.

ويبين الجدول الآتي بالنسبة إلى السنوات 1961/59 عدد المترشحين المقبولين للمشاركة في الفترة التدريبية مقارنة بعدد المترشحين الإجمالي.

المقبولون			المترشحون			السنة
مجموع	إناث	ذكور	مجموع	إناث	ذكور	
37	11	26	147	21	126	1959
42	6	36	267	40	227	1960
68	13	55	368	51	317	1961

ومعظم هؤلاء المعلمين والمعلمات للغة العربية كانوا من إطارات التعليم الخاص عند المسلمين. ومنهم من كان يحمل شهادات من جامعتي الزيتونة في تونس والقرويين في فاس أو من مؤسسات جزائرية مثل معهد ابن باديس والكلية الكتانية في قسنطينة أو من بعض الزوايا الهامة.

2-التكوين المهني

يمتد تكوينهم على مدى سنتين. وتشمل فترة تدريبية مهنية لمدة 6 أشهر في فرع التأهيل المفتوح في المدرسة الثعالبية. ويحمل هذا المبنى اسم سيدي عبد الرحمان الثعالبي. وهو من كبار الأولياء والصالحين في الإسلام. ولد حوالي سنة 1385 م وهو ولي مدينة الجزائر معروف بعميق تقواه وسعة معارفه في علوم الدين والتفسير. والمدرسة المؤسسة سنة 1850 قد كونت خلال ما يزيد على قرن من الزمن معظم المثقفين المسلمين الجزائريين.

ولما حولت المدارس الرسمية الثلاث (الجزائر وتلمسان وقسنطينة) إلى ثانويات للتعليم الفرنكو- إسلامي سنة 1951. كانت المدرسة الثعالبية المؤسسة التي آوت الثانوية الأولى للبنات الخاصة بالتعليم الفرنكو- إسلامي قبل أن تحول إلى ثانوية القبة في أكتوبر 1958.

وقد كانت تدرس فيها المواد الآتية: فن التربية، علم النفس، الأدب واللغة العربيان، المؤسسة الإسلامية، "مصادر الفقه والشريعة" المؤسسات الفرنسية (السلطات وتنظيم الدولة). القضاء الفرنسي والإسلامي، التاريخ وجغرافية فرنسا والجزائر.

كما نظمت دروس بالفرنسية لفائدة المتدربين الذين يجهل معظمهم هذه اللغة، وقد خصص الشهران الأخيران من التدريب لدروس تطبيقية يقوم بها مدرسان في مدرستين ابتدائيتين بمدينة الجزائر.

والمكلفون بالتدريس هم أساتذة الثانويتين "الوطنيتين" بالأبيار والقبه وجميعهم مسلمون. وكلف مساعد من كلية الآداب بدروس التاريخ. وتولى مدير مدرسة شارع تولون، وهو أوربي بدروس اللغة الفرنسية. ومدير المدرسة الثعالبية هو السيد عمر بن دالي عبد الرحمن، أستاذ الفقه الإسلامي سابقا في ثانوية ابن عكنون للتعليم الفرنكو- إسلامي.

ونظام التدريب يقوم على الإقامة الداخلية حيث يقيم الرجال في المدرسة ذاتها، وتتناول المرينات الإناث طعامهن في حجرة خاصة بهن وينمن في ثانوية القبه للبنات. وهؤلاء المتدربات يخرجن سافرات ولم يحدث أي مشكل يذكر نتيجة لاختلاطن بالرجال في قاعات الدراسة. وثمان الكفالة الشهرية الذي يدفعه المتمرنون هو: 123.15 فرنك جديد. هذا إلى جانب جهاز متواضع من الملابس يأتون به عند قبولهم لأداء التدريب.

وبعد فترة التدريب هذه، يعين معلمو العربية في مدارس ابتدائية حيث يقضون مدة تدريب مهني تدوم سنة ونصف سنة، يجتازون إثرها امتحانا يتم ترسيم الناجحين فيه.

ورئيس الأكاديمية هو الذي يعينهم ويرقيهم بناء على اقتراح مفتشي الأكاديمية. ويمكنهم الالتحاق عقب ذلك بصفوف المدرسين بشرط الحصول على شهادة انتهاء الدراسة في ثانويات التعليم الفرنكو إسلامي.

3- مرتباتهم

لمعلمي اللغة العربية سبع درجات، وتتراوح أرقامهم الاستدلالية بين 175 و315. ويتلقون منذ بداية تدريبهم مرتبا قدره 600 فرنك جديد. كما يستفيدون من التعويضات العالية والمنح الأخرى للمدرسين المتمرنين. ويخضعون مثل المدرسين لنظام واحد فيما يخص العطل المدرسية والتفتيش والعقوبات التأديبية. وعلى سبيل المقارنة، فإن معلما للغة العربية يتلقى بصفته أستاذا في مدرسة حرة إسلامية سوى 250 فرنكا جديدا.

موقف الإدارة من التعليم العربي

ترعى مؤسسات التعليم الخاص التي ينشئها المسلمون في كثير من الحالات جمعيات لا تعود اهتماماتها إلى الطابع الثقافي وحده. وتلك حال جمعية العلماء الإصلاحيين في الأساس. ولما كان التعليم هو ميدانها أو سلاحها المفضل فقد اجتهدت منذ إنشائها سنة 1931 للاستئثار بالعديد من المدارس الحرة وتأسيس مدارس جديدة.

وكانت النتائج الحاصلة بفعل عوامل الحرب التي تسببت في تأخير عملية تعميم التعليم في الجزائر نتائج معتبرة. وقد امتدت شبكتها المدرسية فشملت أنحاء الجزائر كلها. وهكذا ارتفع عدد مدارسها من 90 مدرسة سنة 1947 إلى 181 مدرسة سنة 1955. يؤمها نحو 40.000 تلميذ. وعلى الرغم من أن العلماء الإصلاحيين اجتهدوا لتحديث الطرق التربوية لدى معلمهم وتوفير محلات لتلامذتهم تستجيب لمتطلبات الراحة والشروط الصحية. وكانوا دائمي الإعراض عن امتثال التنظيم المعمول

به في مجال التعليم الخاص. فهم دأبوا على رفض تدريس اللغة الفرنسية على الخصوص في مؤسساتهم.

وحسب المزاعم الفرنسية، فإن الإدارة الاستعمارية كانت لها دوافع ومبررات لإغلاق مدارسهم المخالفة للقانون، "حسب رأي الإدارة"، فإنها لم تقدم على ذلك إلا في سنة 1955، حيث أجبرت السلطات الاستعمارية هذه المؤسسات التعليمية على غلق أكثرها وإيداع بعض مديريها ومعلميها مراكز الاحتشاد. وفي سنة 1956، وجهت تعليمات إلى السلطات المحلية بشأن الموقف الواجب اتخاذه إزاء هذا النمط من التعليم. وهذه التعليمات التي ذكرت بشروط فتح مؤسسات التعليم الخاص وعملها، أوضحت التدابير الواجب اتخاذاها تبعا لدرجة خطورة ما قد يرتكبه المدير أو المعلمون من أعمال وأنشطة "جنائية".

المراجع

- 1- حولت هذه المدارس إلى ثانويات للتعليم الفرنسي في سنة 1951، ثم إلى ثانويات وطنية سنة 1959.
- 2- ظل عددهم محدودا لمدة طويلة (21 في سنة 1818) لن يزداد بصورة محسوسة إلى بعد سنة 1938: 70 في سنة 1943، و 120 في سنة 1951، 141 في سنة 1952، 150 في سنة 1953. و من بين 351 منصبا ثم تشغيل 334 منصبا: 33 منها يشغلها معلمو اللغة العربية المدرسون، و 39 منها يشغلها معلمو اللغة العربية المتمرنون والباقي أي 262 منصبا يشغلها المدرسون.
- 3- أنظر معلمو اللغة العربية التابعون لأكاديمية الجزائر.

- 4- كان يوجد آنذاك 129 منصبا ماليا للأساتذة عين الوزير 76 منهم (مبرزين أو مؤهلين) وعين مدير أكاديمية الجزائر 35 منهم مجازين أو مدرسين.
- 5- أنظر المدرسة التطبيقية في الصفحات الموالية.
- 6- انظر ما يتعلق ذلك في الصفحات الخاصة بالمدرسين.
- 7- تم إنشاء قسم السنة السادسة لنواة الفرع التعليم الفرنكو-إسلامي سنة 1959 في أورليان فيل.

- 1 - Benoist G., "De l'instruction et de l'éducation des indigènes de la province de Constantine », in bulletin scolaire du département de Constantine 1883.
- 2 -Alexis de Tocqueville, Œuvres complètes, Paris, 1962, III, p. -323.
- 3 -William Marçais, la langue Arabe, in revue de l'association des élèves et anciens élèves de l' I.E.P., Alger, N° 2 Mai 1958. Pp. 49-52.
- 4 - Bresnier, L. J., de l'enseignement de l'arabe à Alger, in Journal Asiatique 3^e Série T. 5, 1838, pp. 483-493.
- 5 - Bulletin de l'Académie d'Alger, Alger 1958, N° 2, pp. 23-26, 59-76 et N° 3, 1960, pp. 25-27. N° 4, 1960, pp. 17-35.
- 6 - Collot, Claude « le régime juridique de la presse musulmane en Algérie (1881 - 1962) », in revue Algérienne, 1969 (2), pp. 343 - 434.
- 7 - Collot Claude, les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830 - 1962. Paris - Alger. 1987.

- 8 – Cheffaud M., - « l'enseignement des Musulmans en Algérie de 1830 à 1946 ». in Documents Algériens, 1947, pp. 21-52.
- 9 – Djeghloul, A. La formation des intellectuels Algériens modernes 1880 – 1930. R.A.S.J.P.E., N° 4, 1985, pp. 639 – 664.
- 10 – Des vagues, H.,- L'enseignement des musulmans en Algérie sous le rectorat Jeanmaire, in le mouvement social 70, Jan - Mars 1970, pp. 109-137.
- 11 – Eolm Cat, - Biographie Algérienne 1830 – 1900 Alger (S.D.).
- 12 – Emerit, Marcel, - « l'Etat intellectuel et moral de l'Algérie en 1830 », in Rev H.M.C. Juillet. Septembre 1954. Pp. 109 – 111.
- 13 – Fanny Colonna, - Instituteurs Algérien 1883 – 1939, Paris, 1975.
- 14 – Faucon N., - Le livre d'Or de l'Algérie de 1830 à 1889, Paris 1889.
- 15 – Foncin, « Instruction des indigènes », extrait de la Revue internationale de l'enseignement, 15 Aout, 1883.
- 16 Glachant (ch). –Rapport sur l'instruction publique en Algérie. Paris, 1886.
- 17 – Goinard, Pierre, - Algérie l'œuvre française. Paris, 1984.
- 18 – Hamet, Ismaïl, les Musulmans français du Nord de l'Afrique, Paris, 1906.
- 19 – Hazan, A., - Bouzaréh, l'Ecole Normale, in l'Algérieniste, N° 10 (N.S) 15 Mai 1980, pp. 9 – 14.
- 20 – Jardin A., « Tocque ville et l'Algérie », in Bulletin de l'Académie des Sciences morales et politique, 1962.
- 21 – Klein (H). - L'enseignement à Alger depuis la conquête Alger, 1920.
- 22 – Mahl, B., - La politique de formation en Algérie, in le temps modernes N° 375 Bis, Octobre, 1977. Pp. 234 – 248.
- 23 – Marcais, G., L'institut d'Etudes Orientales d'Alger. In Doc Algérien. N° 18, 20 Mai 1947, pp. 209.

- 24 – Méliá J., - Histoire de l'Université d'Alger Alger, 1950.
- 25 – Merad Ali, le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, Paris, 1967.
- 26 – Mimouni Abdelkader, - le Manifeste Algérien dans la presse Française 2e éd., Alger, 1991.
- 27 – Morel J., - L'école et la formation des élites en Algérie de 1919 à 1939, Mémoire Fac-lettres Aix – 1968.
- 28 – Mourlan, Pierre, - Législation et réglementation de l'enseignement Prim. Public des indigènes d'Algérie, Dijon, 1903.
- 29 – Ordonnance du 20 Août 1958 sur la scolarisation accélérée de l'Algérie pendant 8 ans. Ministère de l'Education Nationale Académie d'Alger, 1958.
- 30 – «Peyronnet, R., - Livre d'Or des officiels des affaires indigène. 1830 – 1930. Alger, 1930, Tome I Histoire et annuaire.
- 31 – «Projet de réforme de l'enseignement de l'arabe en Algérie», établi par le Synd. Nat. De l'Ens. Sec., Alger, in Université Syndicaliste, N° 207, 27 Fév, 1961, pp. 34 – 39.
- 32 Rapport sur la situation de l'enseignement en Algérie » in Bulletin de l'enseignement des indigènes, 1904, pp. 26 – 29.
- 33 – Ring (N. de),- Les Ecoles Françaises en Algérie et les écoles indigènes Extrait de «la nouvelle Revue» de 1er Mars 1897.
- 34 – Spielmann, Victor, L'Emir Khaled, son action politique et sociale en Algérie de 1920 à 1923. Les Editions du Trait d'union, Alger, 1938.

